فن معاملة الناس

قال الراوى .. وكان عمر رضى الله شديداً فى غير عُنف !

وكثيرا ما كان عمر يدعو ربه قائلا : اللهم إنى شديد فليِّنّى !

وسأله عبد الرحمن أن يَلينَ للناس فقال : إن الناس لا يصلح لهم إلا هذا ، ولو علموا ما لهم عندى لأخذوا ثوبى من عاتقى .

موعدكم الساعة :

وضرب المثل بعمر – رضى الله عنه – فى العدل ، فقد كان يراقب الله فى رعيته ، ويخشى عذابَه يوم القيامة !

قيل له : كان الرجل يُظلَم فى الجاهلية ، فيدعو على ظالمه ، فيجاب عاجلا ، ولا نرى ذلك فى الإسلام ؟!

فقال : كان هذا حاجزاً بينهم[1] وبين الظلم ، وإن موعدهم الآن الساعة ، والساعة أدهى وأمَرّ .

من ذلك الذى يقيم أمر الله فى الناس ؟ :

وكان عمر – رضى الله عنه – النموذجَ الكاملَ للحاكم المسلم الذى يُقيم أمرَ الله فى الناس ، ومن أجلِ هذا كَتب إلى أبى عبيدة :

أما بعد ؛ فإنه لم يُقِمّ أمرَ الله فى الناس إلا حَصِيفُ العُقْدة ، بعيد الغِرّة ، لا يُحْنَق فى الحق على جِرَّةٍ ، ولا يطَّلِعُ منه الناسُ على عورة[2]! ، و لا تأخذه فى الله لومة لائم ! .. وهكذا كان عمر !!

والسابقون السابقون أولئك المقربون :

وكان عمر – رضى الله عنه – يزن الأمور بمقياس السبق والمسارعة إلى الهجرة

---

(١) فى البيان والتبيين ٣ : ٢٧٩ : كانوا ولا زاجر لهم إلا ذلك ، فلما نزل الله – عز وجل – الوعد والوعيد والحدود والقَوَد والقصاص وَكَلَهم إلى ذلك .

(٢) حصيف العقدة : مُحْكِم للأمور . بعيد الغِرّة : الغفلة ، لا يُحنق على جرّة : لا يكظم الحقد وينطوى على الدغل . والجرّة : ما يخرجه من جوفه ويجتره . ويحنق البعير : تتضيق بطنه .

والجهاد فى الله فهو يقول :

من أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومَنّ رجل إلا مناخ راحلته .

الضرب .. ومنع الحق .. والإبعاد :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصا على أن يعيش المسلمون أعزاء ، وأن يُنْصِفَهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. خطب – رضى الله عنه – فقال :

ألا لا تضربوا المسلمين فَتُذِلُّوهم !

ولا تَمْنَعُوهم حُقُوقَهم فتُكَفِّروهم[1]!

ولا تُجَمِّروهم فتفتِنُوهم[2]!

ورع وفقه :

وكان عمر – رضى الله عنه – ورعاً يتحرّى الحلال ، ويخاف الحرام .

مرّ – رضى الله عنه – بشابّ فاستسقاه فخاص له عسلاً ، فلم يشربه ، وقال :

إنى سمعت الله تعالى يقول :

﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾

فقال الفتى : إنها – والله – ليست لك .

اقرأ ما قبلها : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] أفنحن منهم ؟ فشربها وقال :

« **كل الناس أفقه من عمر** »

الرجوع إلى الحق فضيلة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يقف فى وجه المغالاة حرصا منه على مواجهة الأزمات ، والتغلب على الشدائد ، من أجل هذا أراد أن يحددَ المهور حتى لا ينوء بها

---

(١) فتكفروهم : تدفعوهم إلى الكفر والإرتداد .

(٢) ولا تجمروهم : لا تتركوهم طويلا فى ثغور العدو بتعرضوهم للفتنة . وفى هذه الوصية الغالية نداء إلى أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ويذلونهم ويفتنونهم دون ذنب جنوه !

غير القادرين ..

قال – رضى الله عنه – : لا يَبْلُغَنّى أن امرأة تجاوزت بصداقها صداقَ النبى – عليه السلام – إلا ارتجعتُ منها . فقامت امرأة فقالت :

ما جعل اللهُ ذلك لك يا بن الخطاب ! إن الله – تعالى – يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ [النساء : ٢٠].

فقال عمر – رضى الله عنه – : لا تعجبوا من إمام أخطأ ، وامرأةٍ أصابت ، ناضلت إمامكم فنضلته[١].

عمر والفتوى :

وكان عمر – رضى الله عنه – عالما بالفقه ، تصدر فتاواه بناء على ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله .. روى أن أعرابيا أتاه فقال :

إنى أصبتُ ظبيًا وأنا مُحْرم ، فالتفت عمر – رضى الله عنه – إلى عبد الرحمن ابن عوف وقال : قل .

قال عبد الرحمن : يُهدى شاةً .

قال عمر – رضى الله عنه – أهدِ شاةً .

فقال الأعرابى : والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره ، وما أظننى إلا سأنحر ناقتى !

فخفقه عمر بالدِّرة وقال :

أتقتل فى الحرم ، وتَغْمَصُ[٢] فى الفُتْيا ؟!

إن الله – عز وجَلّ – يقول : ﴿ **يحكم به ذوا عدلٍ منكم** ﴾ [المائدة : ٩٥] فأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف[٣].

إنصاف من لا يحبه :

وكان – رضى الله عنه – منصفًا حتى مع من لا يحبه .. إنه يلتقى بأبى مريم الحنفى قاتل أخيه زيد بن الخطاب فى وقعة اليمامة ؛ فيقول له :

(١) نضلته : غلبته .

(٢) الغمص : العيب .

(٣) وآية المائدة هذه عن الصيد فى الحرم .

والله لا أحبك حتى تحبّ الأرض الدّم !

قال : فتمنعنى حقّاً ؟

قال : لا .

قال : فلا باسَ ، إنما يأسف على الحُبِّ النساء !

إذا عرف السبب بطل العجب :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف للناس أقدارهم وأفضالهم لا يخشى فى الله لومة لائم !

قال له عبد الله ابنه – رضى الله عنهما – : لم فضّلت أسامة علّى ، وأنا وهو سِيّان ؟!

فقال : كان أبوه أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك !

وكان هو أحب إلى رسول الله ﷺ منك .

أخوف ما كان عمر – رضى الله عنه يخافه على المسلمين :

إن إتهام الأبرياء ، وظلم المخلصين أخوف ما كان عمر يخافه على أمته ، ولكن ما أكثر الأبرياء الذين يُزَجّ بهم فى السجون بينما ينعم المجرمون بالحرية !!

لقد خطب رضى الله عنه فقال :

إن أخوفَ ما أخافُ عليكم أن يُؤْخَذَ الرجلُ المسلِمُ البرىء عند الله ، فيُدْسَر كما يُدْسَرُ الجَزُور[1]، ويُشَاط لحمُه كما يشاطُ لحمُ الجزور[2]، ويقال : عاصٍ وليس بعاصٍ . فقال علىٌّ – رضى الله عنه – : كيف ذاك ، ولَمّا تشتدّ البَلِيّة ، وتَظْهر الحَمِيّة ، وتُسْبَ الذُّرِّية ، وتَدقّهم الفِتَن دقّ الرَّحَا ثِفَالَها ؟![3].

---

(١) يُدْسر : يكب ويُدفع للقتل ، كما يفعل بالجزور عند النحر . اللسان .

(٢) يشاط : يقطع . والجَزُر : الناقة أو الشاة المعدّة للذبح .

(٣) الثفال : جلدة تحت الرحا . تندق أنسجتها تحت تأثير دوران الرحا فوقها فكأنما تندق بفعلها ، وفى العبارة تشبيه تأثير الفتنة بما تفعله الرحا فى الثفال .

العفو عند المقدرة أملا فى الخير والصلاح :

وكان عمر – رضى الله عنه – يتفقد أحوال رعيته ليلا ونهارا حتى لا يكون آخر من يعلم !

قال ثور بن يزيد : كان عمر – رضى الله عنه – يَعسُّ بالمدينة فى الليل فسمع صوت رجل فى بيت ، فارتاب فى الحال ، فتَسَوّر ، فوجد رجلا عنده امرأة وخمر ، فقال : **يا عَدُوَّ الله ، أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية ؟!** فقال الرجل : لا تعجل علىّ يا أميرَ المؤمنين ، إن كنتُ قد عصَيْتُ الله فى واحدةٍ ، فقد عصيتَه فى ثلاث :

١ – قال الله تعالى : ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقد تجسَّسْتَ !

٢ – وقال : ﴿ **وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

وقد تَسَوّرت !

٣ – وقال : ﴿ **فإذا دخلتم بيوتًا فسلّموا** ﴾ [النور : ٦١] .

وما سلمت !

فقال له عمر : – رضى الله عنه – فهل عندك من خير إن عفوتُ عنك ؟!

قال : بلى يا أميرَ المؤمنين ، والله لئن عفوتَ عنى لا أعود لمثلها أبداً . فعفا عنه !

إياكم والهدايا :

وكان عمر – رضى الله عنه ، لمَّاحًا بعيد النظر ، يعرف الأمراض الإجتماعية ومدى خطرها على المجتمع الإسلامى فى مهده فراح يحذر المسلمين من الهدايا وإفسادها للذمم !!

قيل : أهدى رجل إلى عمر – رضى الله عنه – جَزُوراً ثم خاصم إليه بعد ذلك فى خصومة ، فجعل يقول : افصلها يا أميرَ المؤمنين كفَصْلِ رِجْلِ الجَزُور[1]! فاغتاظ عمر – رضى الله عنه – وقال :

---

(١) الجَزُور : الشاة المجزورة المذبوحة . وفى عيون الأخبار ١ : ٥٢ أهدت إليه امرأة ، وفى شرح نهج البلاغة لأبى الحديد ٣ : ١١٩ أهدى إليه رجلٌ فخذ جزور .

يا معشرَ المسلمين ، إياكم والهدايا ، فإن هذا أهدى إلىّ منذ أيام رِجْلَ جَزُور ، فوالله مازال يردّدها حتى خفت أن أحكم بخلاف الحكم .

حرصه على صيانة أمور الأمة وأسرار المسلمين من أعداء الدين :

وكان عمر حريصا على صيانة أمور الأمة ، وأسرار المسلمين من أعداء الدين .

استكتب[1] أبو موسى نصْرانيا ، فكتب إليه عمر :

إعزله وإستعمل حَنيفيًّا[2].

فكتب إليه أبو موسى :

إن مِن غَنَائِه وخَبَره كيت وكيت[3].

فكتب إليه عمر – رضى الله عنه – :

ليس لنا أن نأتمَنَهم وقد خَوَّنهم الله ، ولا أن نرفعهم وقد وضعهم الله ، ولا أن نستنصحهم فى الأمر[4]، وهم يرون الإسلام قد وترهم[5]، ويعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون فكتب إليه أبو موسى :

إن البلد لا يصلح إلا به .

فكتب إليه عمر – رضى الله عنه – مات النّصْرانِىّ والسلام[6].

من هو خير من الخليفة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يُنزل الناس منازلَهم .. كان أبو رافع صائغا ، فنظر إليه عمر ، وهو يقرأ ويصوغ ، فقال :

يا أبا رافع ، أنت خير منى ؛ تؤدى حقَّ الله ، وحقَّ مواليك[7]!

---

(١) استكتبه : اخذه كاتبا لديوانه .

(٢) استعمل : وَلِّ . حنيفيا : مائلا عن الشرك إلى الإسلام .

(٣) غَنَائه : سداده فى الأمور . كيت وكيت : كناية عن تعدد مهاراته .

(٤) نستنصحهم : نطلب منهم النصيحة والرأى ونستشيرهم .

(٥) وترهم : أصابهم وفجعهم .

(٦) نهج البلاغة شرح ابن أبى الحديد ٣ : ٩٣ .

(٧) أبو رافع : اسمه نُفَيع . مدنىّ نزل البصرة . وهو من رواة الحديث . ومواليك : من تلى عليهم وتتولى رعايتهم وتموّنهم .

لكل رزق سبب :

وكان عمر – رضى الله عنه – يحب أن تكون الإجابة وافية هادفة ، ويأبى إلا أن يعلم الناس كيف يجيبون .

قال لرجل : ما معيشتُك ؟ قال : رزق الله !

قال : لكل رزق سبب ، فما سبب رزقك ؟

تثبيت الود :

وكان عمر – رضى الله عنه – خبيرا بفن معاملة الناس وتقوية الروابط الأخوية بينهم ...

قال – رضى الله عنه – :

ثلاث يُثَبِّتْن لك الوُدَّ فى صدرِ أخيك :

١ – أن تبدأه بالسلام .

٢ – وتُوَسِّعَ له فى المجلس .

٣ – وتدعوَه بأحب الأسماء إليه .

فن الحديث :

وكان عمر – رضى الله عنه – يُلِمّ بفنون الكلام ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ، وكيف تُقْضى الحاجات . **قال – رضى الله عنه** – من أفضل ما أُعطِيَتْه العرب : الأبيات يقدمُها الرجل أمام حاجته ، يستعطف بها الكريم ، ويستنزِلُ بها اللئيم[1].

أحبّ الناس إليه :

وربما كان للأسماء وحسن المنظر أثرهما فى نفسه ، ولكن حسن المخبر هو الأساس بعد الاختبار . إنه – رضى الله عنه – يقول :

أحبُّكم إلَىَّ أحسنُكم اسمًا ، فإذا رأيناكم فأجملُكم منظراً ، فإذا إختبرناكم فأحسنُكم مَخْبراً .

---

(١) يستنزل بها اللئيم : يطلب منه النزول عليه ليكون فى ضيافته .

مِيَسم الكرام :

والدين عند عمر – رضى الله عنه – خير ما يوسم به الكرام فهو يقول :

الدين مِيَسمُ الكرام[1].

عمر وعدىّ بن حاتم :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف للناس أقدارهم حتى وإن شغل عنهم .

دخل عدىُّ بن حاتم ، فسلم وهو مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا عدىُّ ابن حاتم ، فقال : ما أعرفنى بك ! أنت الذى أقبلت إذْ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا ، وأقررت إذْ نفروا ، وأسلمت إذ كفروا . فقال عدى : حسبى يا أمير المؤمنين !

أىُّ الناس أنعم بدنا ؟ :

وكثيرا ما كان عمر يسأل أصحابه ، ثم يُطْلعهم على الإجابة المُثْلى من وجهة نظره ..

سأل أصحابه : أى الناس أنعمُ بدَنًا ؟

فكلٌّ أجاب برأيه .

فقال عمر – رضى الله عنه – لكنى أقول :

جسد فى التراب ، قد أمن العقاب ، ينتظر الثواب !

كلمات كلها حكم :

والحكمة ضالة المؤمن ، وكان عمر – رضى الله عنه – حكيما .. قال ابن المسيب : وضع عمر للناس كلماتٍ حِكمًا كلها ، وهى :

- ما عاقبتَ من عَصَى الله فيك بمثل أن تُطيعَ الله فيك.
- ضَعْ أمر أخيك على أحْسَنِه ، حتى يجيئك ما يغلبك منه .
- لا تظُنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلمٍ شرًّا وأنت تجدُ لها فى الخير محملاً .

---

(١) المِيسَم : السِّمَة ، وأثر الحسن .

● من كتم سِرّه كانت الخِيَرَةُ بيده .

● من عَرّض نفسَه للتُّهَمة ، فلا يلومَنّ من أساء الظّنّ به .

● عليك بإخوان الصّدْقِ تعِشْ فى أكنافهم ؛ فإنهم زينة فى الرخاء ، وعُدّة فى البلاء .

● لا تهاونوا بالحلِف فيهينُكُم الله .

● لا تسأل فيما لم يكن ؛ فإن فيما قد كان شغلاً عما لم يكن .

● عليك بالصدق ، وإن قتلك الصدق .

● احذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمينَ إلا من خَشِيَ الله !

● استشِرْ فى أمرك الذين يَخْشَوْن الله ، فإنما يقول :

﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨].

● آخِ الإخوانَ على التقوى .

● كفى بك عيبًا أن يبدوَ لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسِك ، أو تؤذىَ جليسك فيما لا يعنيك ، أو تعيب شيئًا وتأتى بمثله .

● وقال : لأن أموت بين شُعْبَتَى رَحْلى أبتغى فضل الله ، أحبُّ إلىّ من أن أموتَ على فراشى .

● وقال لبعضهم : احذرِ النعمة كحذرك المعصية ، وهى أخوفهما عليك عندى !

● وقال – رضى الله عنه – : أحذركم عاقبة الفراغ ؛ فإنه أجمع لأبواب المكروه من السُّكْر .

وقال : أفلح من حفظ من الطمع والغضب والهوى نفسه ، ولا خير فيما دون الصدق من الحديث !

ومن كذَب فجَر ، ومن فجَر هلك .

● وقال – رضى الله عنه – :

قلت : بأبى وأمى يا رسول الله ، ما بالنا نرق على أولادنا ولا يرقون علينا ؟

قال : لأنّا ولدناهم ، ولم يلدونا !!

دستور للعمال والجباة فى معاملة الناس :

قال الراوى ..

وكان عمر – رضى الله عنه – يعلِّم الجباةَ والعاملين على الصدقة كيف يعاملون الناس !

كتب فى الصدقة إلى بعض عماله :

ولا تَحْبِسِ الناسَ أوّلَهم على آخرهم ، فإن الرّجْن للماشية عليها شديد ، ولها مُهلك(ظ).

وإذا وقف الرجلُ عليك غنمه فلا تعْتَم من غنمه ، ولا تأخذ من أدناها ، وخذِ الصدقةَ من أوسطها(٢).

وإذا وجب على الرجل سِنٌّ ، ولم تجده فى إبله فلا تأخذ إلا تلك السن من شَرْوى إبله ، أو قيمة عدل(٣).

وانظر ذوات الدَّر والماخض(٤). فنكّب عنها ؛ فإنها ثِمالُ حَاضرتهم(٥).

---

(١) المراد : عند أخذ الزكاة لا تحبس أهل الحى بدوابهم كلهم ، وعلل ذلك بأن الرّجن وهو الحبس شديد على الماشية ، فما بالنا بالناس ؟!

(٢) لا تعتم : لا تنتق منها خيارها ، والعتام : الخِيار . إنه يرشده ويوجهه إلى أخذ الأوسط وترك الخيار والدون .

(٣) السِّنّ : الفصيل إذا نبتت أسنانه . من شروى إبله : من مثل إبله .

(٤) الماخض : الحامل .

(٥) ثمال : غياث . يريد أن ما كان منها يدر لبنا ، أو حاملا فينبغى أن يترك لأصحابه فإنه مصدر رزقهم وغياثهم فى الشدائد .

قال الراوى :

عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع .

فذهب الغلام بها إليه وقال له : يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « اجعل هذه فى بعض حوائجك ، فقال له :

وصله الله ورحمه !

ثم دعا بجارية وقال لها :

إذهبى بهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه السبعة إلى فلان حتى أنفذها .

فرجع الغلام إلى عمر ، وأخبره ، فوجده قد أعدّ مثلهَا إلى معاذ بن جبل ، وقال له : انطلق بها إلى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من أمره ، فذهب إليه ، وقال له كما قال لأبى عبيدة بن الجراح ، ففعل معاذٌ مثل ما فعل أبو عبيدة ، فرجع الغلام ، وأخبر عمر ، فقال : « إنهم إخوة بعضهم من بعض » .

رضى الله عنهم أجمعين علمونا كيف يكون الإخاء والتراحم !

عيش آل الخطاب ! :

روى الجاحظ قال :

شهدت الأصمعى يوما ، وقد أقبل على جلسائه يسألهم عن عيشهم ، وعما يأكلون ويشربون ، فأقبل على الذى عن يمينه ، فقال : أيا فلان ، ما إدامك[1]؟

قال : اللحم .

قال : فى كل يوم لحم ؟

قال : نعم .

قال : بئس العيشُ هذا ! ، ليس هذا عيشَ آلِ الخطابِ !

كان عمر بن الخطاب يَضْرِب على هذا ، وكان يقول :

« **مُدْمِنُ اللحم كمُدْمِنُ الخمر** ! » .

ثم سأل الذى يليه : وهكذا حتى أتى على آخرهم ، كل ذلك وهو يقول : بئس العيشُ هذا ! ليس هذا عيشَ آل الخطاب ! كان عمر بن الخطاب يضرب على هذا !

فلما انقضى كلامه ، أقبل عليه بعضهم فقال :

يا أبا سعيد ، ما إدامك ؟!

قال : يوما لبن ، ويوما زيت ، ويوما سمن ، ويوما تمر ، ويوما جُبْن . ويوما قِفار، ويوما لحم . عيش آل الخطاب ! وخير الطعام ما خف على المعدة ، وسهل هضمه ، وليس الإدمان على اللحم من ذلك فى شىء !

لقد فطن إلى ذلك كثير فتخففوا من الطعام فصمت أجسامهم وغفلنا فاعتللنا ، واختلت موازين صحتنا .

ولقد أوصى حكيم بلغ التسعين بنيه فكان مما قال :

لقد نيَّفت على التسعين ، ما شكوت يوما مرضا ، وما لذلك من سبب إلا

---

(١) الإدام ، ما يؤكل مع الخبز .

التخفيف من الطعام ، وقانا الله شر البطون !

رفق عمر بأهله :

قال الراوى : كان أعرابى يعاتب زوجته ، فَعَلا صوتُها صوتَه ، فساده ذلك منها وأنكره عليها ، ثم قال :

والله لأشكوَنّكِ إلى أمير المؤمنين ، وبينما هو عند بابه فى انتظار خروجه حتى يرفع إليه شكواه ، سمع امرأته تستطيل عليه وتقول :

اتقِ الله يا عمر فيما ولاّك ، فقال الرجل وهو يهم بالإنصراف – : إذا كان هذا حالَ أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟ وفيما هو كذلك خرج عمر ، فلما رآه قال له : ما حاجتك يا أخا العرب ؟

فقال الأعرابى : يا أميرَ المؤمنين ، جئت إليك أشكو خُلُقَ زوجتى ! وإستطالتَها علىّ ، فرأيت عندك ما زهّدنى ، إذ كان ما عندك أكثر مما عندى ، فهممت بالرجوع وأنا أقول :

إذا كان هذا حالَ أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟

فتبسم عمَر وقال : يا أخا الإسلام ، إنى احتملتها لحقوق لها علىّ :

إنها طباخة لطعامى ، خبّازة لخبزى ، مرضعة لأولادى ، غاسلة لثيابى ، وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى !

عمر يقيم الحد على ولده :

قال الراوى : كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – من العدل والسياسة إلى حد أقام فيه الحد على ولده حتى مات ،.وكان إذا أنفذ عمالا إلى أعمال قال لهم :

إشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ، ولا تمدوا أيديكم إلى بيت مال المسلمين ، ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج ! رضى الله عنه وأرضاه !

إنصاف !

قال الراوى : أتت امرأة بزوج لها أشعث أغبر إلى أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب – رضى الله عنه – وقالت :

يا أمير المؤمنين ، لا أنا ولا هذا ، خلصنى منه ، فنظر إليه عمر ، وعرف ما كرهت منه ، فأشار إلى رجل ، وقال له :

إذهب به وحَمِّمه ، وقلّم أظافره ، وخذ من شعره ، وأْتنى به ، فذهب وفعل ذلك ، ثم أتاه فأومأ إليه عمر : أن خذ بيدها ، وهى لا تعرفه ! فقالت :

يا عبد الله ، سبحان الله ! أبيْن يَدَىْ أمير المؤمنين تفعل هذا ؟! فلما عرفته ، ذهبت معه !

فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن ! إنهن يُحْبِبْن أن تتزينوا لهن ، كما تحبون أن يتزيَنّ لكم !

حق الزوجة :

قال الراوى :

ذكر الزبير بن بكار قال :

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجى يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه ، وهو يعمل لطاعة الله – عز وجل – فقال لها : نعم الزوجُ زوجُك !

فجعلت تكرر عليه القول ، ويكرر عليها الجواب !

فقال له كعب الأسدى : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه !

فقال عمر : كما فهمْت كلامها فاقضِ بينهما .

فقال كعب : عَلَىَّ بزوجها ، فأُتِى به ، فقال له :

إن امرأتك هذه تشكوك ، قال :

أفى طعام أو شراب ؟

قال : لا .

فقالت المرأة :

يأيها القاضى الحكيـمُ رشده ... ألْهى خليلى عن فراشى مسجده
زهَّدَه فى مضجعى تعَبُّـدُه ... فاقض القضا كعبٌ ولا تردّده
نهارُه وليلُـه مـا يَرْقُـدُه ... فلستُ فى أمر النساء وأحمدُه

فقال زوجُها :

زهّدَنى فى فرشها وفى الحجَل ... أنّى امرُؤ أذهَلَنى ما قد نزل[1]
فى سورة النحل وفى السّبع الطُّوَل ... وفى كتَاب الله تخويف جَلَل[2]

---

(١) الحجَل : جمع حجَلة بفتحتين وهى بيت يزين للعروس بالثياب والأسرة والنور

(٢) السبع الطُّول من سور القرآن هى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف واختلفوا فى السابعة فقيل : الأنفال وبراءة معا وكأنهما سورة واحدة بتسمية واحدة وقيل : يونس . والمراد بالتخويف ما أعد من العذاب للعاصين والثواب للطائعين مما دفعه إلى الانهماك فى العبادة حتى قصر فى حقوق الزوجية ورده كعب إلى الصواب .

فقال كعب :

إن لها حقا عليك يا رجل نصيبها فى أربع لمن عقـــل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم إن الله – عز وجل – قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة من أيام ولياليهن ، تعبد فيهن ربك .

فقال عمر : والله ما أدرى من أىّ أمر بك أعجب ؟

أمن فهمك أمرهما ؟ أم من حكمك بينهما ؟

إذهب فقد وليتك قضاء البصرة !

مما يسعد الرجل :

وعمر – رضى الله عنه – الأب يرى السعادة كل السعادة أن يجد الرجل بناته وأخواته ، ومن يعولهن قد تقدم لهن من يعرف لهن حقهن ، إنه يقول :

من حظِّ المرء نَفَاق أيِّمه[1]، وموضِع حقه يريد أن يكون حقه عند من لا يجحده .

نعم العِدْلان ، ونعم العِلاوة ! :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعلق على الآيات عقب سماعها بما يلقى الضوء عليها ..

قال فى قوله تعالى : ﴿ **أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة : ١٥٧] .. نِعْم العِدْلان ، ونعم العلاوة[2]!!

رضى الله عن آل الخطاب بقدر ما صبروا وعَفُّوا !

---

(١) الأيم : غير المتزوجة ، ولا يُرغَب فيها . أى من سعادة الرجل أن تخطب غير المتزوجات من بناته وأخواته .

(٢) العِدلان : (بكسر العين) الحملان المتعادلان على جانبى البعير . والعِلاوة : الزيادة على ظهره . والمراد نعم الجزاء العادل ، والفضل من الله بعد ذلك .

عمر القدوة والمثل

مثال العبودية الحقّة :

قال الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – مثال العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى ..

طَلَى بعيراً من الصدقة بالقَطِران ، فقال له رجل : لو أمرتَ عبداً من عبيد الصدقة كفَاكَه !

فضرب بالثَّملة[1] على صدره ، وقال :

أعَبْدٌ أعْبَدُ منى ؟!

صدق الورع :

وكان عمر – رضى الله عنه – وَرِعًا ، يعرف أن صدق الورع يستنزل الرحمات . إنه يقول :

لو صليتم حتى تكونوا كالحَنِىّ[2] ما نلتم رحمةَ الله إلا بصدق الورع !

كراهية الموت :

الموت قضاء الله ، وشأن المؤمن أن يرضى بقضاء الله ، ويتوقع الموت فى كل لحظة ، ومن أجل هذا يقول عمر – رضى الله عنه – :

كل عملٍ كرهت من أجله الموت فاتركْهُ ، ثم لا يضرّك متى مِتّ[3]

التوجه فى الوجه ثلاث مرات :

وكان عمر – رضى الله عنه – يطلب أن يحاول كل منا مرة وأخرى وثالثة ، فإذا لم يتحقق له ما أراد فلينصرف عنه إلى غيره .. إنه يقول :

---

(١) الثَّملة : (بفتح الثاء وسكونها) خرقة يطلى بها البعير بالهَناء (القَطِران) .

(٢) الحَنِىّ : القوس . أى مهما بالغتم فى الركوع دون خشوع لله وخضوع وصدق ورع ، وتوق للمحارم ، فلن تنالكم رحمة الله .

(٣) فى زهر الآداب أن القول لأبى خازم .

إذا توجّه أحدكم فى الوجه ثلاث مرات ، فلم يرَ خيراً فليدعه[1].

الفقه قبل السيادة :

ما قيمة السيادة بلا فقه ؟!

إن الخليفة عمر – رضى الله عنه – يوجه الأنظار إلى ما ينبغى أن يكون عليه من يُسَوِّدُه قومُه ليكونَ أهلاً للسيادة ، فيقول : تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا .

ذوو الألباب والموت :

الدنيا خداعة ، تستولى على من يحبونها ، وتنسيهم الآخرة ، ولكن الموت فضحها ، فواجب ذوى الألباب أن يفكروا فى مصيرهم ، وألا ينخدعوا بها .. إن عمر رضى الله عنه – يقول :

إن الموت فضح الدنيا ، فما ترك لذى لُبٍّ فرحا .

خبرته فى البيع والشراء :

وتتجلى خبرته فى تلك النصيحة الغالية ، فليس بعد الكمال إلا النقص ... إنه يقول :

بعِ الحيوانَ أحسنَ ما يكون فى عينيك !

فلتات اللسان :

وكان عمر – رضى الله عنه – يحذر من فلتات السباب لما يَعْقُبها من ندم فيقول :

احذر من فَلَتاتِ السِّباب كلما أورثك النَّبز[2]، وأعلقك اللقب ؛ فإنه إن يعظم بعده شأنُك يشتد عليه ندمُك !

أربعة يلقى عمر الضوء عليها :

ومن أدرى من عمر بأجود الناس ، وأحلمهم وأبخلهم ، وأعجزهم إنه يقول :

● أجود الناس : مَن جادَ على مَن لا يرجو ثوابَه .

---

(١) والشاعر العربى يقول :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

(٢) النَّبز بالباء المفتوحة : اللقب ولا يكون إلا فى الذّم .

- وأحلمهم : من عفا بعد القدرة .
- وأبخلهم : من بَخِلَ بالسلام .
- وأعجزهم : الذى يعجِز فى دعائه .

ما الجزع مما لابد منه ؟! :

وكانت خطبة – رضى الله عنه – حافلة بالتوجيهات السديدة خطب – رضى الله عنه – فقال :

أيها الناس ، ما الجزع مما لابد منه ؟!

وما الطمع فيما لا يُرجى ؟!

وما الحيلة فيما سيزول ؟!

وإنما الشىء من أصله ، وقد مضت قبلنا أصول ونحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله ؟

إنما الناس فى هذه الدنيا أغراض تنتضِلُ المنايا فيهم[1] وهم نهب المصائب .

مع كل جرعة شرَق .

وفى كل أكلة غصص !

لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى !

ولا يستقبل مُعَمِّر من عمرٍ يومًا إلا بهدْم آخر من أجله ! وأنتم أعوان الحُتُوفِ على أنفسكم ، فأين المهربُ مما هو كائن ؟! وإنما يتقلّب الهارب فى قدرةِ الطالب ، فما أصغرَ المصيبة اليومَ مع عِظَم الفائدة غداً ! أو أكثرَ خيبة الخائب !

جعلنا الله وإياكم من المتقين .

القلب الكبير :

قال الراوى : جاء فى سراج الملوك للطرطوشى :

وكان أبا العيال يسلم على أبوابهن ويقول : ألكن حاجة ؟ وأيتكن تريد أن تشترى

---

(١) تنتضل المنايا فيهم : تتسابق إليهم المنايا . ، ومن المؤلفين من ينسب هذه الخطبة لعمر بن عبد العزيز ، وانفرد ابن أبى الحديد بنسبتها إلى على .

شيئا فيرسلون معه بحوائجهن . ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده .

وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعه بنفسه فى منازلهن يكتب أزواجهن ويقول : أزواجكن فى سبيل الله ، وأنتن فى بلاد رسول الله ﷺ ، إذا كان عندكن من يقرأ ، وإلا فأقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن .

متعة الحج :

وكان عمر – رضى الله عنه – ينشد الكمال ، ويرى من الأفضل ألا يفك المحرم إحرامه بعد العمرة ثم يعود إلى الحج .. إنه يقول فى متعة الحج :

قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد فعلها وأصحابه ، ولكنى كرهت أن يظلوا بهن مُعْرِسِين[1] تحت الأراك[2]، ثم يلبون بالحج تقطر رءوسهم .

(١) معرسين : مُسلِمِّين بأهلهم .

(٢) والأراك من أشجار مكة يتخذ منه السواك .

أقوى ميزات عمر !!

قال الراوى*:

لعل من أبهم الفروق التى تميز المسلمين فى أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم : « **خُلق الرجولة** » .

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة .. وأقوى ميزات عمر أنه كان رجلا لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يمالىء عظيما أو أميرا ، يقول فى إحدى خطبه :

أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عِندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

وينطق بالجمل فى وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال ، كأن يقول : يعجبنى الرجُلُ إذا سِيمَ خُطّة خَسْفٍ[1] أن يقول : لا بملء فمه » ويضع برامج لتعليم الرجولة فيقول :

« علموا أولادكم العَوْم والرماية ، ومُرُوهم فليثبوا على الخيل وثبا ورَوُّوهم ما يجمل من الشعر » .

ويضع الخطط لتمرين الوُلاة على الرجولة ، فيكتب إليهم :

« اجعلوا الناس فى الحق سواء : قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم .

وإياكم والرُّشا والحُكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب » ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة فيقول :

ألا لا تضربوا المسلمين ، فتذلّوهم ، ولا تُجَمّروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغِياض فتضيعوهم » .

لقد كان عصر صدر الإسلام مظهر للرجولة فى جميع نواحى الحياة وكيف لا وقد كان رسولنا ﷺ مثلا أعلى للرجولة .. فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة .. إيمان لا تزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب

---

* من مقال للدكتور أحمد أمين بتصرف .

(١) إذا أذيق ذلا أو أرغم عليه .

فى نصرة الحق ، وهُيام بمعالى الأمور ، وترفع عن سَفْسَافها ، وعندما لحق بالرفيق الأعلى خلف مبادىء خالدة على الدهر كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها .

وكانت الرجولة عندهم صفة جامعة لكل صفات الشرف من إعتداد بالنفس ، وإحترام لها ، وشعور عميق بأداء الواجب مهما كلفه من نصَب ، وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها ، والدفاع عنها ، والإعتزاز بها واباء الضيم لنفسه ولها .

فهل آن الأوان لكى نضع برنامجا دقيقا للرجولة يبدأ برعاية الطفل فى بيته ، فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه ، كما يحافظ على الصك يوقع عليه .

ويعلمه كيف يكون رجلا فى ألعابه .

ويساير خطاه فى المدرسة فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يقدم على فعل الخطأ ، وإن غفلت عنه أعين الرقباء ، ولا يغش فى الإمتحان ولو ترك وحده ، وكيف يعطف على الضعفاء ، ويبذل لهم ما استطاع من معونة .

ويتمشى مع الطالب فى جامعته ، فيعوده الإعتزاز بنفسه ، والإعتزاز بجامعته ، والإعتزاز بأمته ، ويبعثه على أن يفكر فى غرض شريف له فى الحياة يسعى لتحقيقه .

ويتابع الأمة فيضع لها الأدب الذى يبعث القوة والأناشيد التى تملأ النفس أملا ، ويأخذ على أيدى الساسة والحكام ، ورجال الشرطة حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ، ولا يُرهبوهم فيذلوهم !

رضى الله عنه كم ضرب القدوة والمثل للناس أجمعين !

كيف عمل عمرُ على رفع المعاناة عن رعيته ؟!

يقول الرواة :

, إن عمر – رضى الله عنه – قال عن أبى بكر :

إنه أتعبَ مَنْ بَعده !

وليس من شك فى أن عمر كان أشدّ من أبى بكر إتعابا لمن جاء بعده !

فسيرة هذين الإمامين قد نهجت للمسلمين فى سياسة الحكم ، وفى إقامة أمور الناس على العدل والحرية والمساواة ، نهجا شق على الخلفاء والملوك من بعدهما أن يتبعوه ، فكانت نتيجة قصورهم عنه – طوعا أو كرها – هذه الفتنة التى قتل فيها عثمان – رضى الله عنه ، والتى نَجمتْ منها فتن أخرى قتل فيها على – رضى الله عنه ، وسفكت فيها دماء كثيرة كره الله أن تسفك ، وانقسمت فيها الأمة الإسلامية انقسامًا مازال قائما إلى الآن » .

البدء بالنفس :

وكان عمر – رضى الله عنه – المثل والقدوة بدأ بنفسه عام الرمادة فامتنع عن أكل السمن والزيت ليشارك رعيته وكان حريصاً على العدل والمساواة ..

ففى حديثه أنه انكفأ لونه[1] فى عام الرمادة حين قال :

لا آكل سمنا ولا سمينًا .

وأنه اتخذ أيامَ كان يُطعم الناس قِدْحًا فيه فرض[2]، فكان يطوف على القصاع ، فيغمر القِدح ، فإن لم تبلغ الثريدة الفَرْضَ قال : فانظر ما الذى يُفعل بالذى ولى الطعام .

---

(١) انكفأ لونه : تغير وامتقع وعلته صفرة .

(٢) القِدح : السهم . والفَرْض العلامة . قطعة من الخشب معلمة ومرقمة أشبه بالمتر يقيس بها ما يخص كل فرد فى أيام المجاعة ليسوى بينهم جميعا . ويا ويل من يشرفون على التوزيع إن نقصت قصعة أحدهم ! وبهذا عبرت الأمة الأزمة الطاحنة بالعدل والمساواة والمشاركة الفعلية والوجدانية .

مسئولية الحاكم :

قال الراوى : لما رجع عمر – رضى الله عنه – من الشام إلى المدينة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز فى خبائها فقصدها ، فقالت :

يا هذا ما فعل عمر ؟

قال : قد أقبل من الشام سالما .

فقالت : لا جزاه الله عنى خيرا ، قال : ولِمَ ؟

قالت : لأنه – والله – ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم !

فقال : وما يدرى عمر بحالك ، وأنتِ فى هذا الموضع ؟!

فقالت : سبحان الله ! والله ما ظننت أن أحدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها !!

فبكى عمر – رضى الله عنه – وقال :

واعُمَراه ! كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر !! ثم قال لها : يا أمةَ الله ، بكم تبيعننى ظلامتك من عمر ؟! ؛ فإنى أرحمه من النار !!

فقالت : لا تهزأ بنا – يرحمك الله !

فقال : لست بهزّاء ، فلم يزل بها حتى أشترى منها ظُلامتها بخمسة وعشرين ديناراً ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب ، وابن مسعود – رضى الله عنهما – فقالا :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت :

وأسواتاه ! شتمت أمير المؤمنين فى وجهه !

فقال لها عمر – رضى الله عنه – لا بأس عليك رحمك الله ! ثم طلب رقعة يكتب فيها ، فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها ، منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا ، فما تدعى عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى ، فعمر منه برىء ! ،،،

شهد على ذلك : على بن أبى طالب وابن مسعود .

ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال : إذا أنا مت فاجعله فى كفنى ، ألقى به ربى !

رضى الله عن عمر وأرضاه ، وأثابه وقربه وأدناه ، نهض بالحكم فوفاه ، مما لم يرد التاريخ له ضريبا ، فتح الفتوح ، ومصّر الأمصار ودون الدواوين ، وأقام العدل ، بادئا بنفسه وأهله ، وأحسن القيام على بيت المال ، فوفر القوت ، وقسمه بالسوية ، ونشر الأمن وعسَّ بالليل ، يتفقّد الرعية إلى غير ذلك مما لا يأتى عليه الحصر ، وقد يُخْطِئُه العد .

وقصته مع تلك المرأة واحدة من ألوف أمثالها ، ولولا أن لها شهودًا ، لضاعت فى التاريخ ، فما كان عمر يحب أن يتحدث عنه الناس فى ذلك ، وإنما كان يحب أن يجعله سرا بينه وبين الله !!

من يحمل عنى ذنوبى ؟! :

يقول الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – أهلاً لتحمل المسئولية ، يتولى بنفسه أمور رعيته ، ويشرف عليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، لا تمنعه أعباء الخلافة ، ولا مسئوليات الحكم ..

رُوى أنه كان يحمل الدقيق على ظهره ، فقال له بعضهم : دعْنى أحْمِلْه عنك .

فقال عمر : ومن يحمل عنى ذنوبى ؟!

الفرج بعد الشدة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يؤمن إيمانا عميقا بأن بعد الشدة فرجاً ، وأن الصبر مفتاح الفرج ..

لما حُصِر أبو عبيدة كتب إليه عمر – رضى الله عنه :

مهما ينزل بامرىء من شِدّةٍ يجعل الله بعدها فرجًا ، إنه لن يَغْلبَ عُسْرٌ يسرين ، إنه يقول :

﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾(١)

[آل عمران : ٢٠٠].

---

(١) صَبر : تجلّد ولم يجزع ، والمصابرة المغالبة فى الصبر . والمرابطة : ملازمة الثغور وموضع المخافة .

المساواة :

وكانت المساواة بين الناس أملا يعمل على تحقيقه ويسعى إلى تطبيقه ..

قال – رضى الله عنه – لئن بقيت لأسوّيَنّ بين الناس حتى يأتى الرجلَ حقُّه فى صفنه[1]، لم يعرَق فيه جبينه !

إنصاف واعتراف :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف لخالد بن الوليد فضله وقدره حتى بعد موته ..

قيل له : إن النساء قد إجتمعن يبكين على خالد ، فقال : وما على نساء بنى المغيرة أن يسفكن من دموعهن على أبى سليمان.! ما لم يكن نَقْع[2]، ولا لقلقة[3].

الرعية والراعى :

خرج عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يوما وهو خليفة فى حاجة له ماشيا ، فأعيى ، فرأى غلامًا على حمارٍ له ، فقال :

يا غلام ، احملنى فقد أُعْيِيت ، فنزل الغلام عن الدابة ، وقال :

اركب يا أميرَ المؤمنين ، فقال :

لا .. اركب أنت ، وأنا خلفك ، فركب خلف الغلام ، حتى دخل المدينة والناس يرونه !

من تجاربه الحياتية :

ولعمُر – رضى الله عنه – تجارب يزود بها المسلمين بني الحين والحين .. إنه يقول :

فَرِّقوا عن المنية[4]، واجعلوا الرأسَ رأسين[5].

---

(١) الصَّفَن : حقيبة الراعى ، والمراد : حيث يوجد .

(٢) النقع : الغبار ، والمراد به ذلك الذى يوضع على الرءوس والوجوه !

(٣) اللقلقة : رفع لاصوت بالعويل .

(٤) فرقوا عن المنية : لا تجتمعوا فى الأوبئة والطواعين والأمراض المعدية .

(٥) لث بالمكان : أقام فيه ، والمراد : لا تقيموا فى مكان تعجزون فيه عن تحقيق أملكم .

ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجِزَة[1].

وأصلحوا مثواتكم[2]

وأخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفَكُم .

التواضع .. والتكبر :

وكان عمر – رضى الله عنه – متواضعا ، ومن أجل هذا نراه يحث على التواضع ، ويبين ما يجنيه الكبر على صاحبه ؛ فيقول :

إن العبدَ إذا تواضع رفع الله حَكَمتَه ، وقال : انتعِشْ نعشك الله ! وإذا تكبّر وعَدَا طَوْرَه وهَصَه اللهُ إلى الأرض[3]!

خوفه من الربا :

وكان عمر – رضى الله عنه – يخاف على الأمة الربا ولهذا نراه يُغلق أبوابَه فنراه يقول :

« لا تشتروا الفضة والذهب إلا يدا بيد ، فإنى أخاف عليكم الربا » .

لا عزةَ إلا بالإسلام :

وكان عمر – رضى الله عنه – يرى أن العزة لله ولرسوله وللمسلمين وأن خير ما يعتَزّ به المسلم هو إسلامه ، وبدون الإسلام لا تُغْنى مظاهرُ الحياة كلُّها صاحَبها فتيلا ! قال له أبو عبيدةَ حين نزل عن ناقته ، وخلع خُفّيْه ، وخاض المخاضة :

ما يسرّنى أن أهلَ البلد استشرفوك[4]!؛ أى رأْوك !

فقال له عمر – رضى الله عنه – :

لو غيرُك يقول هذا لجعلته نكالا ، إنا كُنَّا أذَلَّ قومٍ ، فأعزّنا الله بالإسلام ؛ فإن طلبنا العِزّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا[5]!!

---

(١) واجعلوا الرأس رأسين : اشتروا بثمن الواحد من الحيوان اثنين ؛ فإذا أصاب الموت أحدهما بقى الآخر .

(٢) المثاوى : جمع مثوى . مكان الإقامة .

(٣) الحَكَمة : ما أحاط بفم الدابة من حديدة أو لجام . والمراد : رفع الله رأسه . وهصه الله : جذبه جذبا شديداً .

(٤) استشرفوك : أطلّوا عليك واطلعوا . والمخاضة فى الشام ، وقد خاضها عمر وهو ذاهب إليه .

(٥) المستدرك على الصحيحين ١ : ٦٢ .

ما عند الله خير وأبقى :

وكان عمر – رضى الله عنه – يزهد فيما تمتلىء به حياتنا الدنيا من الطيبات أملا فى طيبات الآخرة ..

قال لربيع بن زياد الحارثى : يا ربيع ؛ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق ، وسبائك وصِناب[1].

ولكنى رأيت الله – عز وجَلّ – نعى على قوم شهواتِهم ، فقال : ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

واجب الآباء والأزواج تجاه أولادهم وبناتهم :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف أثر التربية الجسمية فى إعداد أجيال المستقبل إلى جانب تربية الذوق وتنمية المشاعر ، ويوجه نظر المرأة إلى ما يعود عليها بالنفع ؛ فنراه يقول :

علموا أولادكم العَوْمَ والرمايةَ ، ومُرُوهُم فليثبوا على الخيل وثْبًا ، ورَوُّوهم ما جَمُل من الشعر ، وخير خُلُق المرأة المِغْزَل .

درس فى الاقتصاد :

وكان عمر – رضى الله عنه – خبيرا بفن الحياة ، وكان على رأس المسلمين يوم واجهوا عام الرمادة فقاد خطاهم وتغلب على الأزمة ونجا المسلمون من خطر المجاعة .

خطب مرة فقال :

يأيها الناس ، لا تأكلوا البيض ، فإن أحدكم يأكل البيضة أكلةً واحدة ، فإن حضنها خرجت منها دجاجة فباعها بدرهم[2].

نظرة مستقبلية :

وكان عمر – رضى الله عنه – يدفع أصحابه إلى العمل ليؤمنوا أنفسهم فى مواجهة الحياة بدلا من الاعتماد على أرزاق بيت المال .. وأنه لا بديل للمساعدات التى

---

(١) الصلائق : الرقاق . والسبائك : ما سبك من الدقيق فأخذ خالصه . والصناب : الخردل بالزبيب . النهاية .
(٢) جاء فى العقد الفريد ٦ : ٢٠١ قال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة .

نتلقاها سوى سواعدنا وعملنا وإنتاجنا !!

قال لرجل : مَا مَالك ؟ قال : ألفان مضمونان فى بيت المال .

فقال : اتخذ مالا سوى هذا ؛ فيوشك أن يأتى من لا يُعطى إلا من يحب !

أبـو العِيـال

قال الراوى : أهم ميزة تميز الإسلام أنه دين السماحة ، والعدالة ، والتضامن الاجتماعى ، والتكافل بين الرعية . وكان الرسول ﷺ المثل الأعل فى سماحة الخُلق ، وسماحة النفس ، وكرم الطبع ، والحدب على الرعية .

وعلى هداه سار عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى توخى العدالة الاجتماعية فى أروع صورها ، فلم يكن يؤثر بالمال فريقا على فريق ، أو طائفة على طائفة ، إنه يقول فى إحدى خطبه :

والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ! ، وما أنا أحق من أحد به .

والله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب ، إلا عبدا مملوكا ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله ، وقَسْمنا من رسول الله ، والرجل وبلاده فى الإسلام ، والرجل وقومه فى الإسلام ، والرجل وعَتاده فى الإسلام » .

ويقول فى خطبة أخرى :

« لكم علىّ ألاّ أجتبى شيئا من خراجكم ، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه .

ولكم علىّ إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه . ولكم علىّ أن أزيدَ عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله ، وأسُدّ ثغوركم ، وإذا غبتم فى البعوث فأنا « أبو العيال » حتى ترجعوا إليهم .

إنه لا يؤثر فريقًا بالمال دون فريق إلا بمقدار دوره فى خدمة الإسلام ، والعمل على دعم أركانه ، وصيانة بنيانه .

لقد كان حريصا كل الحرص على إنفاق الأموال فى وجوه الخير والبر ، والقضاء على الفوارق بين المسلمين ، وكان يحاسب ولاته حسابا عسيرا فى تطبيق ذلك ، ويسأل عن مصادر ثروتهم ، وأسباب غناهم أو رفعتهم .

كان الوفد إذا قدم على عمر - رضى الله تعالى عنه - يسأل عن أميرهم فيقولون خيرا ، فيقول :

هل يعود مرضاكم ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه .

فإذا قالوا لخصلة منها « لا » عزله .

وروى الطبرىّ :

« أنه كان لا يأكل نَقِيًّا[1]، ولا يلبسُ رقيقًا ، ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس » .

لقد بدأ بنفسه ، فضرب المثل لرعيته ، والناس على دين ملوكهم .

لما انتصر المسلمون على كسرى ، وتقوضت دعائم مملكته ، نقل المسلمون نفائس قصره إلى المدينة !

وهنا وقف عبد الله بن الأرقم ، وخاطب الفاروق عمر قائلا :

اجعلها فى بيت المال حتى نقسمها ، فقال عمر بن الخطاب : والله لا يُظِلها سقف بيت دون السماء ! ؛ فتركت هذه النفائس الغالية ، وهذه الذخائر الثمينة بين صُفَّتَىْ[2] المسجد : صُفّة النساء ، وصفة الرجال ، وبات القوم يحرسونها حتى تنفس الصبح ، وانبلج النهار ، فكشف عمر عنها الغطاء فرأى الذهب والفضة ، ففاضت عيناه بالدموع ، وانسابت على خديه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف :

ما يبكيك يا أميرَ المؤمنين !! ، فوالله إن هذا اليوم ليوم شكر ، ويوم فرح وسرور ؟!

فقال عمر بن الخطاب : لا والله ما فتح الله على قوم هذا قط إلا جعل بأسهم بينهم ، وأُلقيت بينهم العداوة والبغضاء !

---

(١) النَقِىّ : الدقيق الجيد الخالص .

(٢) الصُفّة : الظُلّة .

ونهض عمر بن الخطاب ، وشرع يقسم الغنائم بين المسلمين ! وتمر الأيام .. وتتحقق فراسة ابن الخطاب .. وتندلع الفتنة الكبرى التى أطاحت بخلافة عثمان ! وما نزال نكتوى بنارها !!

رضى الله عن عمر كم رفع المعاناة ، وكم وجه إلى ذلك الولاة !

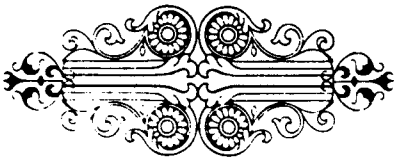

من أوّليات الفاروق

من النظم الطريفة التى وضعها الفاروق ، ودلت على نصاعة تفكيره ، ورجاحة عقله ! أنه فرض للمولود حين يفطم ١٠٠ درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتى درهم .

وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم ، إلى أن سمع امرأة ذات ليلة ، وهى تُكْرِه وليدها على الفطام وهو يَبكى ، فسألها عنه فقالت :

إن عمر لا يفرض لمولود حتى يفطم ، فأنا أُكرهه على الفطام كى يفرضَ له !

فقال : يا ويلَ عمر !! كم احْتقَبَ من وِزر وهو لا يعلم ! ثم أمر مناديه فنادى : ألّا تعجلوا أولادكم بالفطام ، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق وكذلك كان يفرض للقيط مائة درهم ، ورزقا ياخذه وليه كل شهر ، ويزيده من سنة إلى سنة ، وكان يوصى باللقطاء خيرا ، ويجعل رضاعهم ، ونفقتهم من بيت المال .

رضى الله عنه .. وجزاه الجزاء الحسن الجميل .

عمر والمال العام

قال الراوى :

وكان عمر شديداً على نفسه كل الشدة ، وشديدا على غيره كل الشدة أيضا فى مال المسلمين ، فكان يحاسب نفسَه أشد الحساب على ما يأخذ من مال المسلمين لنفقته ونفقة أهله ! وكان يقول : إنى أنزلت نفسى من هذا المال بمنزلة مال اليتيم ، ثم يقرأ قول الله – عز وجل – من سورة النساء :

﴿ **ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** ﴾ [النساء : ٦]

والناس على دين ملوكهم فقد سار عماله على هذا النهج فأين أولئك الذين تمتد أيديهم إلى أموال المسلمين – مما كان عمر – رضى الله عنه – يفعله ؟!! ومن لنا بعمر لينقذ المال العام من أيدى اللئام !! لقد كان – رضى الله عنه – كما قال الرواة :

إن استغنى عفّ ، وإن افتقر أكل بالمعروف !

لقد كان يشبه نفسه أحيانا برجل سافر مع جماعة من أصحابه فدفعوا إليه أموالهم ، وكلفوه أن يُنْفِقَ عليهم منها ، فما ينبغى له أن يؤْثِرَ نفسَه من دونهم بقليل أو كثير من هذا المال .

ألم يستشر أصحابه فيما يحل له من هذا المال ؟!

ويقول له : بعضهم : يحلّ لك منه ما يُصلحك ، ويُصلح أهلك ، ويقول له على بن أبى طالب – رحمه الله – يحل لك منه الغَدَاء والعَشَاء . فقبل رأى على ، فما كان يزيد على أن يأخذ من بيت المال ، ما يمكنه من أن يأكل ويطعم أهله طعام أوساط الناس من قريش .

وكان يستحل من بيت المال كسوة نفسه : حُلّة فى الشتاء ، وأخرى فى الصيف .

لقد كان يشدد على نفسه إيثارا للزهد ، ومخافة أن يحيا حياة ألين من حياة النبى ﷺ وحياة أبى بكر .

لقد وضع أمام عينيه حياة صاحبيه فكان يقول :

إن لى صاحبين ، سلكا طريقًا ، وأخشى إن خالفتُ سيرتَهما أن يُخَالَفَ بى عن طريقهما .

فإلى الذين قصّروا عن الإحتفاظ بهذه النظم الإجتماعية ، وعن تثبيتها .. وإلى الذين أضاعوا هذه النظم ، وأهملوا أتباع ما هيأ لهم عمر من وسائل الرقى والعزة ، فى ظل العدل والأمن والمساواة نقول لهم جميعا : اتقوا الله ، وخافوا المحن !!

وإليكم نماذج عليا كانت تصنع ما يصنع عمر :

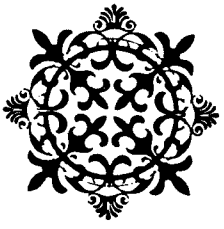

تقشف ! :

قال الراوى : عندما زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حِمص بالشام ، جاءه أهلها يشكون واليهم ، سعيد بن عامر ، وعابوا عليه أربع خصال :

١ – لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار .

٢ – ولا يجيب أحداً بليل .

٣ – ويعتزل النّاس يوما فى الشهر .

٤ – ويأتيه إغماء بين حين وحين .

ويسأله عن ذلك فيعلم : أنه يعجن كل يوم خبزَه ، ويخبزه ، بنفسه ثم يخرج . وأنه جعل نهاره للناس ، وليلَهُ لله ، يعبده فيه ، وأنه يغسل ثيابه فى الشهر مرة ، وينتظر حتى تجف .

وأما عن الإغماء ، فقد قال سعيد :

كنت مشركا ، وشهدت مصرع حبيب الأنصارى بمكة ، وقد بضَعَت (قطعت) قريش لحمه ، ثم حملوه على جِذع ، وقالوا له : أتحب أن يكون محمدٌ مكانك ، فقال :

والله ما أحب أن أكون معافىً فى نفسى وأهلى وولدى ، وأن محمداً شِيكَ بشوكة ، ثم نادى : يا محمد ! فما ذكرت ذلك اليوم ، وتركت نُصرة حبيب ، وأنا مشرك ، لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله – عز وجل – لا يغفر لى أبدا فيصيبنى ما يصيبنى يا أمير المؤمنين !

وأمر عمر – رضى الله عنه – أهل حمص يوما أن يسجلوا له فقراءهم ، فلما اطلع على القائمة ، قرأ فى رأسها « سعيد بن عامر » ، فقال : من سعيد بن عامر ؟!

قالوا : هو أميرنا يا أمير المؤمنين .

قال عمر : وأميركم فقير ؟! وأين إذن عطاؤه ؟!

قالوا : إنه لا يستبقى منه شيئا !!

فأرسل إليه عمر ألف دينار ، فلما نظر سعيد إلى تلك الدنانير جعل يقول : ﴿ **إن لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

فقيل له : ما شأنك ؟ أأصيبَ أمير المؤمنين ؟!!

قال : أعظم .

قيل : أفظهرت آية ؟

قال : أعظم من ذلك ! .. الدنيا أتتنى .. الفتنة أتتنى ..

فقيل له : لا عليك .. وزّع الدنانير على فقراء المسلمين .. فوزعها سعيد على جيوش المسلمين !!

سَلْمان الفارسى ..

كان من عماله على المدائن : سلمان الفارسى ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار بغير إكاف[1]، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكا زاهدا ، فلما احتُضِرَ بالمدائن قال له سعد بن أبى وقاص :

أوصنى يا أبا عبد الله ! قال :

اذكر الله عند **همك** إذا همت .

وعند **لسانك** إذا حكمت .

وعند **يدك** إذا قسمت .

ثم جعل يبكى ، فقال له : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟!

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن فى الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخِفّون » . وأرى هذه الأساود[2] حولى ! فنظروا فلم يجدوا فى البيت إلا إدَاوة ، وركوة ، ومطهرة[3].

---

(١) إكاف : البرذعة .

(٢) الأساود : العظيم من الحيات .

(٣) إداوة إناء صغير للماء وركوة للطعام ، ومطهرة يتوضأ منها ويتطهر .

أبـو عبـيـدة :

وكان عامله على الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى ؛ فَعُذِل على ذلك[1]، وقيل له :

إنك بالشام ، والى أمير المؤمنين ، وحولنا الأعداء ؛ فغيّر من زِيّك ، وأصْلِح من شارتك فقال :

ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله ﷺ .

وصاياه لعماله :

قال الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – إذا استعمل عاملا أوصاه بتقوى الله ، وإصلاح الرعية ، وكتب عليه كتابا ، وأشهد عليه رهطا من الأنصار :

١ – ألا يركب برذونا !

٢ – ولا يأكل نقيا !

٣ – ولا يلبس رقيقا !

٤ – ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين !

ثم يقول : اللهم اشهد .

وكتب إلى عماله : أما بعد فإياكم والهدايا فإنها من الرُّشا .

لقد اهتدى إلى ضرر الهدايا مما بدر من رجل[2] كان أهدى إليه فخذ جزور فخاصم إليه رجلا فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اقض بيننا قضاء فصلا ، كما تفصل الرِّجل من سائر الجزور ، فقضى عليه عمر !

ثم كتب إلى عماله : إن الهدايا هى الرُّشا .

وكان عمر – رضى الله عنه – إذا قدم العمال يأمرهم أن يدخلوا نهارًا ، ولا يدخلوا ليلا لكيلا يحتجنوا[3] شيئا من الأموال .

---

(١) العذل : اللوم .

(٢) الأشراف لابن أبى الدنيا . وقد سبق ذكر هذه الحكاية من قبل .

(٣) يخفوا ، أو يأخذوا لأنفسهم شيئا .

وكان يعسّ[1] بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقد أحوالهم ، ويتعهد أهل البؤس والفاقة بنفسه .

لقد كان يسهر على أمور الرعية ، وتتبع أخبارها فى آناء الليل وأطراف النهار ، وفرض مالا لكل مولود فى الإسلام ، ورفع الجزية عن الشيوخ الفقراء المسنين الذين لا يستطيعون أداءها .

رحم الله عمر ، ورضى عنه ، وهدانا إلى الاقتداء به ، والانتفاع بسيرته !

بيت المال بين الدين والأمانة ، والتفريط والتضييع :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصا على مال المسلمين أن تمتد إليه يد بالتفريط والتضييع ، ولكنه كان على صيانة دين المسلم وأمانته أحرص !

افتقد من بيت المال أيام عمر أربعةُ آلاف درهم ، وكان بيت المال فى يد وهب ابن منبه[2] فكتب إليه عمر :

أما بعد ؛ فإنا لا نتهم دينك وأمانتك ، ولكن نخاف تفريطك وتضييعك ، وهذا المال للمسلمين ، وليس لأشحهم عليك إلا يمينُك ، فإذا صليت العصر من يوم الجمعة ، فاستقبل القبلة ، واحلف بالله أنك ما أخذتها ، ولا علمت لها آخذا[3] السلام .

من أين لك هذا ؟! :

وكان عمر – رضى الله عنه – يفتح عينيه لكل ما يظهر على عماله وولاته من ثراء فيحاسبهم ويقاسمهم ويرد ذلك إلى بيت مال المسلمين ..

مرّ برجلٍ من عُمّاله[4] وهو يسى بالآجُرّ والحَصى ، فقال : « تأبى الدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها . وشاطَره مالَه » !

---

(١) يطوف بالليل .

(٢) وهب بن منبه : تابعى من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن مات سنة ١١٠ هـ . وقيل ١١٤ ، وقيل ١٢٤ .

(٣) قيل إن هذه الحادثة لوهب حدثت فى أيام عمر بن عبد العزيز الذى عاش إلى عهده على أرجح الأقوال .

(٤) فى عيون الأخبار ١ – ٣ أنه عامله على البحرين .

عمر القدوة يبدأ بنفسه :

قال الراوى : وكان إذا أراد[1] أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن شىء مما فيه صلاحهُم بدأ بأهله ، وتقدم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافِهم أمَره ، وما كان يميز أحداً من آل بيته فى شىء ، وربما هضم بعض حقهم ، وأعطاه من هو أجدر منهم .

« قسم[2] عمر مروطا بين نساء المدينة فبقى فيها مرط[3] جيد ، فقال له بعض من عنده :

يا أميرَ المؤمنين أعْطِ هذا ابنة رسول الله التى عندك[4]، فقال : أم سُلَيطٍ أحق به ؛ فإنها مِمّن بايع رسول الله ، وكانت تزفر[5] لنا القرب يوم أُحد » .

وقال أحدهم لعمر : اتق الله يا أميرَ المؤمنين ، فقال : « لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم » .

وردت عليه امرأة ، فرجع إليها وقال : رجل أخطأ ، وامرأة أصابت !

رضى الله عنه كم كان شديد الحرص على أموال المسلمين ، وكم حاسب نفسه وغيره !

---

(١) تاريخ الطبرى .
(٢) تيسير الوصول لابن الديبع .
(٣) المِرط : كساء من خز أو صوف يؤثر ربه .
(٤) يريد أم كلثوم بنت على .
(٥) تزفر القرب : تخيطها .